

دلائل الإعجاز

ذلك قولُ ابنِ أبي عيَينةَ - الكامل - : .

(فَدَعِ الوَاعِدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي ... أَطَانِينَ أَجْنَحَةَ الذَّبَابِ بِبَابِ يَضِيرُ)

جعلَه كَأَنَّه قد طَنَّ - أنَّ - طنينَ أجنحةِ الذبابِ بمثابةٍ ما يضيرُ حتى طَنَّ - أنَّ
وعيدَه يضيرُ .

واعلم أنَّ حالَ المفعولِ فيما ذكرنا كحالِ الفاعلِ أعني تقديمَ إسمِ المفعولِ
يَقْتَضِي أن يكونَ الإِنكارُ في طريقِ الإِحالةِ والمنعِ من أن يكونَ بمثابةٍ أن يُوقَعَ به
مثلُ ذلكِ الفعلِ . فَإِذَا قلتَ : أزيداً تضربُ كنتَ قد أنكرتَ أن يكونَ زيدٌ بمثابةٍ أن
يُضربَ - أو بموضعٍ أن يُجتراً عليه ويُسْتَجارَ ذلكِ فيه ومن أجلِ ذلكِ قد سمَّ " غير " في
قوله تعالى : (قُلْ أَغْيِرَ اللَّاهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) وقوله عزَّ وجلَّ : (قُلْ
أَرَأَيْتُمْ كُفْرًا إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّاهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغْيِرَ
اللَّاهِ تَدْعُونَ) وكان له من الحُسنِ والمزيَّنةِ والفخامةِ ما علمُ أنه لا يكونُ لو
أُخِرَ فقيلَ : قل أَتَّخِذُ غيرَ ا□ وليًّا وأتدعون غيرَ ا□ وذلكَ لأنه حصلَ بالتقديمِ معنى
قولك أكون غيرَ ا□ بمثابةٍ أن يتخذَ وليًّا وأَ يرضى عاقلٌ من نفسه أن يفعلَ ذلكَ وأَ يكونُ
جهلٌ أجهلَ وعمى أعمى من ذلكَ ولا يكونُ شيءٌ من ذلكَ إِذَا قيلَ : أَتَّخِذُ غيرَ ا□
وليًّا وذلكَ لأنَّه حينئذٍ يتناولُ الفعلَ أن يكونَ فقط ولا يزيدُ على ذلكَ فاعرفه .
وكذلكَ الحكمُ في قوله تعالى : (فَقالُوا أَبَشَرًا مِّنْنا وَاحِدًا
نَتَّبِعُهُ) . وذلكَ لأنَّهم بَنَوْا كُفْرَهُمْ على أنَّ مَن كانَ مثَلَهُم بشراً لم يكنْ
بمثابةٍ أن يُتَّبَعَ ويُطاعَ ويُنزَّهَ إِلى ما يأمرُ ويُصدِّقُ أنه مبعوثٌ منَ ا□
تعالى وأنهم مأمورون بطاعتهِ كما جاء في الأخرى : (إِنْ أَزْنَمُوا إِلاَّ بِشَرِّ
مِثْلِنا تُريدُونَ أَنْ تَصُدُّونا) وكقوله عزَّ وجلَّ : (مَا هذا إِلاَّ بِشَرِّ
مِثْلِكُمْ يُريدُ أَنْ